مقدمة

- من التطبيق العملي الذي كان يُمارسه النبي صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أنه كان يُبشّر أصحابَه برمضان، ويقول: «قد جاءكم شهر رمضان شهر مبارك، افترض الله عليكم صيامَه، يفتح فيه أبواب الجنة، ويغلق فيه أبواب الجحيم، وتُغل فيه الشياطين، فيه ليلة خيرٌ من ألف شهر، من حُرِم خيرها فقد حُرِم».

- من هدي السلف مع القرآن في رمضان: كان ابنُ مسعود يختمُ في رمضان في ثلاث، وفي غير رمضان من الجمعة للجمعة. قال ابن باز: وهذا هو الموافق للسنة، وهو أدعى للتّدبُّر والتفكر.

- ورد الصومُ في القرآن كفارة لعدد من الذنوب العظيمة، وعند التأمل تجد أنّ من أبرز أسباب وقوعها ضعفُ الإرادة، والصومُ من أعظم وسائلِ تقويتها وتوجيهِها. فهل نستثمر هذه الشعيرة لتهذيب هذه الملكة وبنائها ابتداء قبل أن يكون الصوم كفارة وجزاء؟!

تأمُّلات في آيات الصيام

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

١- تأمل كم في آية الصيام من ترغيب في الصوم، بدأها بالنداء المُحبَّب ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾، وبيّن أنه فريضة لا مندوحة في تركه ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾، وأنه ليس خاصا بنا بل هو للأمم كلها ﴿ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ وبيّن ثمرته ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ وقلله ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ﴾.

٢- الصيام كان في الأمم السابقة ﴿ كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾، والاعتكاف والقيام كذلك: ﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾، وفي هذا إلهابٌ لعزائم هذه الأمة ألّا تقصِّر عمّن قبلها في تلك العبادات، فإنّا الآخرون السابقون.

٣- إذا تأملت في قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ وكيف تلقى المسلمون هذه الفريضة بالقبول التام، وقارنته بتردّدِ وتباطؤ بني إسرائيل في ذبح بقرة فقط! عَلِمْتَ شرف هذه الأمةِ على سائر الأمم.

٤- ﴿ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾
١- استنبط منها بعض العلماء: أنّ صيامَ أهلِ الكتاب كان بالرؤية لا بالحساب، بدليل قوله: ﴿ كَمَا ﴾ ولكن أهل الكتاب غيّروا وبدّلوا بعد ذلك.
٢- محبة الله لهذه الفريضة، وإلا لما شرعها في جميع الأمم.

٥- ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ لعل -هنا- للتعليل، أي: كي تتقوا، وهنا قاعدة مفيدة، وهي: أن (لعل) إذا جاءت بعد الأمر فهي للتعليل، كقوله تعالى -بعد ذلك-: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾.

٦- رمضانُ مدرسةُ التقوى .. تأمل كيف ذُكرت التقوى في أول آية وآخر آية من آيات الصيام؛ ذلك أنّ الصيام من أعظم ما يُعزِّز التقوى في النفوس، فلنفتّش عن أثر الصيام على تقوانا لربنا في أسماعنا وأبصارنا وكلامنا، لنحقق الغاية: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾.

٧- ﴿ أَيَّامًا مَّعۡدُودَٰتٍ ﴾ وإنما عَبّر عن رمضان بأيام -وهي جمع قلّة- ووُصف بمعدودات -وهي جمع قلة أيضا-؛ تهوينا لأمره على المكلفين؛ لأن الشيء القليل يُعد عدّا؛ والكثير لا يُعَدَ.

٨- وصف سبحانه رمضان فقال: ﴿ أَيَّامًا مَّعۡدُودَٰتٍ ﴾ كناية عن قلة أيامه ويُسْرها، فالمغبون من فرط في تلك الأيام دون جدٍّ أو تحصيل، وسيُدرِك غبنه حين يقول: ﴿ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ و ﴿ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ ﴾!

٩- ﴿ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ دليل على أنه يَقضي عددَ أيام رمضان كاملاً كان أو ناقصاً، وعلى أنه يجوز أن يَقضي أياما قصيرة باردة عن أيام طويلة حارة كالعكس.

١٠- العبادات التي كان نبينا يحرص عليها في رمضان؛ كلها مذكورة في آيات الصيام في سورة البقرة (١٨٣-١٨٧): الصدقة ﴿ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖ ﴾، تلاوة القرآن ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ ﴾، الدعاء ﴿ فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ ﴾، والاعتكاف ﴿ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِ ﴾، والتكبير للعيد ﴿ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ ﴾.

﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾

١- ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِ ﴾، من فضائل شهر الصيام أن الله تعالى مدحه من بين سائر الشهور، بأن اختاره لإنزال القرآن العظيم فيه، واختصه بذلك، ثم مدح هذا القرآن الذي أنزله الله فقال: ﴿ هُدٗى ﴾ لقلوب من آمن به، ﴿ وَبَيِّنَٰتٖ ﴾ لمن تدبَّرها على صحة ما جاء به، ومُفرِّقا بين الحق والباطل والحلال والحرام.

٢- ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ ﴾ نزول القرآن في هذا الشهر سابقٌ على فرض الصيام فيه، فهو شهر قرآن قبل أن يكون شهر صيام، فاجتمعت ميزتان، وقد فقه السلف هذا، فصاموه، وعمروا ليله ونهاره بالقرآن تلاوة وتدبُّرا، تحقيقا للاسم والمسمى، وتركوا ما سواه.

٣- ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ ﴾ الصيام له ارتباط بالقرآن، من جهة أنه سببٌ لارتفاع القلب من الاتصال بالعلائق البشرية، إلى التعلق بالله تعالى، كما أنّ الصيام سبب لصفاء الفكر ورقة القلب التي هي سبب الانتفاع بالقرآن.

٤- وصف الله شهر رمضان بأنه: ﴿ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ ﴾ لتتأكد العناية به فيه، فلنشتغل بالقرآن: نقرأه وحدنا ومع أهلنا، ونملأ به وقتنا، منتفعين بالتقنية الحديثة من إذاعات وقنوات وعَبْر ملفات حاسوب وجوال، ويتهادى المسلم مع إخوانه المقاطع المؤثرة والتلاوات المرققة، ليكون شهرَ القرآنً!

٥- انظر: لما شَرَع الله الصومَ بغير بدل -مع ما فيه من المشقة المعروفة- قال بعدها: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ ﴾ فاليُسر هو ما جاء عن الله تعالى، لا أن يكونَ التيسير شماعة تغيَّر بها شرائع الصوم والحج والأعياد.

٦- أنزل القرآن ليكون هدى، ولذلك ذكرت الهداية في «الفاتحة» وفي أول البقرة ﴿ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾، وتلاوة القرآن إذا خلت من هذا المعنى فقدت أعظم مقاصدها، فعلى التالي للقرآن أن يستحضرَ قصدَ الاهتداء بكتاب الله والاستضاءة بنوره، والاستشفاء من أدوائه بكلام ربه، ولا يقتصر على مجرد تلاوة الحروف: ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ ﴾.

٧- الصيام سببٌ لارتفاع القلبِ من الاتصال بالعلائق البشرية إلى الاتصال والتعلق بالعلائق السماوية التي نزل منها القرآن، ففيه اتصال مباشر بجهة نزول القرآن. وبهذا يلتقيان منَ هذا الوجه.

٨- ﴿ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ الهداية تشمل: هدايةَ العلم، وهدايةَ العملِ، فمن صام رمضان وأكمله، فقد منّ الله عليه بهاتين الهدايتين، وشكرُه سبحانه على أربعة أمور: إرادة الله بنا اليُسر، وعدم إرادته العسر، وإكمالِ العدة، والتكبيرِ على ما هدانا، فهذه كلها نِعَمٌ تحتاج منا أن نشكرَ الله بفعلِ أوامره، واجتنابِ نواهيه.

٩- ﴿ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ﴾ وإذا كان التكليفُ شاقّاً ناسب أن يُعقب بترجّي التقوى، وإذا كان تيسيرا ورخصة ناسب أن يعقّب بترجي الشكر، فلذلك ختمت هذه الآية بقوله: ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ لأنّ قبله ترخيص للمريض والمسافر بالفطر.

١٠- تكبيرُ الله على هدايته جاء في ثنايا آيات الصيام: ﴿ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ﴾ وفي ثنايا آيات الحج: ﴿ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ﴾ فإذا أردت أن تعرف موقع هاتين الآيتين الكريمتين، فيكفي أن تتذكر أن هناك ٥ مليارات من البشر محرومون من هذه الهداية! فلِمَن المنّة؟ ﴿ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾.

١١- قال ابنُ عباس: حقٌّ على المسلمين إذا نظروا إلى هلال شوال أن يُكبّروا الله حتى يفرغوا من عيدهم؛ لأن الله تعالى ذكره يقول: ﴿ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ﴾. فليكن التكبير شعارا يملأ المساجد والبيوت والأسواق.

١٢- ﴿ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ قد يقول قائل: في الصوم مشقّةٌ وتعبٌ، فكيف يؤمر العبد بالشكر؟ فيقال: من نظر في الثمرات العظيمة التي ترتّبت على هذه الفريضة: من حلاوة المناجاة، وتلاوة القرآن، وأنواع الإحسان التي وُفق لها العبد، ومواهبِ الرحمن، والعتقِ من النار، عَرَفَ أن الله وحده يستحقّ الشكر على واسع فضله، وعظيم نعمائه.

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾

١- ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ ﴿ فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾... ما أقرب الله! ليس بيننا وبينه أحد، لا مواعيد تلاحق، ولا طوابير تنتظر، ولا سكك تقطع؛ قيل للإمام أحمد رحمه الله: كم بيننا وبين عرشِ الرحمن؟ قال: «دعوة صادقة من قلب صادق!».

٢- ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ كان خالد الربعي يقول: عجبتُ لهذه الأمة! أَمرَهم بالدعاء ووعدهم بالإجابة، وليس بينهما شرط! فسُئل عن هذا؟ فقال: مثل قوله: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ فها هنا شرط (أي البشارة مشروطة بالإيمان والعمل الصالح)، وقوله: ﴿ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ فها هنا شرط، وأما قوله: ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ ليس فيه شرط.

٣- قال بعض السلف: متى أَطلق الله لسانَك بالدعاء والطلب فاعلم أنه يريد أن يعطيَك؛ وذلك لصدقِ الوعدِ بإجابةِ من دعاه، ألم يقل الله تعالى: ﴿ فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾؟

﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾

١- ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ﴾ في الآية معنيان لطيفان:
١) التَّكنية عما لا يَحسُن التصريح به.
٢) عُدِّيَ الرفث بـ(إلى) مع أنه لا يُقال: رَفَثْتُ إلى النساء، ولكنّه جِيء به محمولاً على الإفضاء الذي يراد به الملابسة.

٢- ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ ، ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴾ ، ﴿ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ ﴾ ، تأمل هذه الآيات، تجد الرابط بينها (الستر)، والمشترك بين الثياب حُسْنُ سترها، فهل يُدرك الزوجان أنه عندما يتحدَّث أحدُهما بعيوب شريك حياته ويَكشف أسرارَه قد أصبح كالثوبَ المخرق، قبيح المنظر، فاضح المخبر.

٣- تأمل قوله تعالى : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ وما فيها من تربيةِ الذوق والأدب في الكلام، إضافة إلى ما في اللباس من دلالةٍ (الستر، والحماية، والجمال، والقرب).. وهل أحدُ الزوجين للآخر إلا كذلك؟ وإن كانت المرأة في ذلك أظهر أثرا كما يُشير إلى ذلك البدء بضميرها ﴿ هُنَّ ﴾.

٤- ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ هل يَستغني أحدٌ عن اللباس؟ فكيف يستغني عن الزواج ويؤخِّره بلا سبب مُعتبر؟
اللباسُ يسترُ العورات، فلمَ يَفضحُ البعضُ شريكَ عمره وقد خُلق لستره؟
اللباسُ شعارٌ ودثار، فكيفَ تصفو الحياةُ الزوجية مع النفور والجَفاء؟
اللباسُ مَن أجمل ما نتزين به، فمتى يكونُ الزوجان أحدُهما جَمالٌ للآخر؟
اللباسُ وقاية من البَرْد والحر، فهل كل منا يشعر أنه وقايةٌ وحمايةٌ وأمانٌ لشريك حياته؟ فما أعظمه من كتاب!

٥- ﴿ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾ في تجويز المباشرة إلى الصبح دلالة على جواز تأخير الغسل إليه، وصحة صوم المصْبِح جُنبًا.

٦- ﴿ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ أي: اقصدوا في مباشرتكم لزوجاتكم التقرّبَ إلى الله بذلك، وابتغوا أيضا ليلة القدر، فإياكم أن تشتغلوا بهذه اللذة وتوابعها وتضيعوا ليلة القدر -وهي مما كتبه الله لهذهِ الأمة- وفيها من الخير العظيم ما يعد تفويته من أعظم الخسران، فاللذة مُدرَكة، وليلةُ القدر إذا فاتتْ لم تدرك، ولم يعوِّض عنها شيء.

٧- ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾ هذا غايةٌ للأكل والشرب والجماع، وفيه أنه إذا أكل ونحوه شاكا في طلوع الفجر فلا بأس عليه، وفيه دليل على استحباب السحور، وأنه يستحب تأخيره؛ أخذا من معنى رخصة الله وتسهيله على العباد.

٨- ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾ في إباحته تعالى جواز الأكل إلى طلوع الفجر دليل على استحباب السحور؛ لأنه من باب الرخصة والأخذ بها محبوب، ولهذا وردت السنة الثابتة بالحث عليه.

٩- قال تعالى: ﴿ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ ﴾ استدل العلماء بقوله: ﴿ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ ﴾ على أن الاعتكاف لا يصح إلا في المسجد، ووجه الدلالة: كأنّ الأمرَ مُستقرٌ ومفروغ منه أنّ الاعتكاف لا يكون إلا في المسجد، وقد حكى القرطبي وغيره الإجماعَ على ذلك.

١٠- للمعتكف التنقل في أنحاء المسجد، لعموم: ﴿ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ﴾، وأما الخروج منه فهو أقسام: ١/ لأمر مناف للاعتكاف كالوطء والبيع فإنه يبطل. ٢/ لأمر معتاد لا بد منه كالخلاء، وأكل لا يأتي به أحد، واغتسال لإزالة رائحة فجائز. ٣/ لأمر لا ينافي الاعتكاف، لكن ليس لازما، كتشييع جنازة وزيارة قريب، فلا يفعل، وبعضهم يجيز ذلك باشتراطه.

١١- ﴿ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ﴾ليس المراد النهي عن مباشرتهن في المساجد؛ فذلك ممنوع منه حتى في غير الاعتكاف، وإنما نزلت في أقوام يخرجون لحاجتهم في بيوتهم، فربّما جامَعَ أحدُهم أهله، فنهوا عن ذلك، فتأمل كيف أفادت الآية حكمين بجملة مختصرة: اشتراط المسجد في الاعتكاف، والنهي عن المباشرة أثنائه.

١٢- ﴿ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ﴾ لقد جعل الإسلام هذه العزلة في إطار المسجد، فلم يسمح بانقطاع في غار أو في غابة، وذلك حتى لا ننهي صلة المسلم بالجماعة.

١٣- لما ذكر الله تعالى المنهيات في الصيام والاعتكاف أعقبها بقوله: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾ و«لا تقربوها» أبلغ من: «لا تفعلوها»؛ لأن القربان يَشمل النهي عن فعل المحَرَّم بنفسه، والنهي عن وسائله الموصلة إليه.

١٤- ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ إن العلمَ الصحيحَ سببٌ للتقوى؛ لأنهم إذا بان لهم الحق اتبعوه، وإذا بان لهم الباطل اجتنبوه، ومن علم الحق فتركه، والباطل فاتبعه، كان أعظمَ لجرمه، وأشدَّ لإثمه.

﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

١٥- لما انقضت آيات الصيام أعقبها الله بالنهي عن أكل أموالِ الناس بالباطل؛ لأنه مُحرَّمٌ في كل زمانٍ ومكان، بخلاف الطعام والشراب فكأنه يُقال للصائم: يا من أطعت ربَّك وتركتَ الطعامَ والشرابَ الذي حُرِّم عليك في النهار فقط، فامتثل أمرَ ربِّك في اجتناب أكل الأموال بالباطل، فإنه محرمٌ بكل حال، ولا يُباح في وقت من الأوقات.

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

١- ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ ﴾ قال قتادة: سألوا نبي الله صلى الله عليه وسلم: لم جُعلت هذه الأهلة؟ فأنزل الله فيها ما تسمعون، فجعلها لصوم المسلمين ولإفطارهم، ولمناسكهم وحجهم، ولِعِدَّةِ نسائهم ومحل دينهم في أشياء، والله أعلم بما يُصلح خلقه.

٢- في قوله: ﴿ لِلنَّاسِ ﴾ إشارةٌ إلى كون الرؤية ميقاتاً للناس كلهم، فما كان رؤية في عهد النبوة فهو المعتبر بعده.

تدبُّر

الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم

تأمُّلات في آيات الصيام

إعداد اللجنة العلمية